الظلم وعواقبه في ضوء القرآن والسنة

بقلم الدكتور

د. أبو زيد محمد أبو زيد جعفر

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

قال الله تعالى: « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء »(١).

أي لا تحسبن الله يا محمد غافلا عما يعمل الظالمون فهو إذا أنظرهم وأجلهم ليس معنى ذلك أنه غافل عنهم كلا ؟ بل هو جلت قدرته يحصى أعمالهم ولا يمهلهم « إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » ليوم عظيم يوم يفتح الظالم بصره فلم يغمضه .

ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بذلك بل بين كيفية قيامهم من قبورهم وما يلاقونه من العذاب بأنهم يقومون من قبورهم مسرعين إلى أرض المحشر رافعين رءوسهم إلى السماء دائمي النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الرعب والفزع وقلوبهم خربة خالية من العقل لا تعي شيئاً. قال تعالى :

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان ٤٢ ، ٤٣

« يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون »(١) .

وقال تعالى : « يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً،يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما،وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً »(٢).

ثم أخبر سبحانه عن قول الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب،وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال، وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال(٣) .

وبعث الله محمداً ﷺ بكتاب عظيم ليخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغى إلى الهدى والرشاد كما قال تعالى : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٤) .

ولقد حرم الإسلام ظلم المسلم وخذله واحتقاره، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم

---

(١) الآيتان ٤٣ — ٤٤ من سورة المعارج .
(٢) الآيات من ١٠٨ - ١١١ سورة طه .
(٣) سورة إبراهيم الآية ٤٤ - ٤٥
(٤) الآية ٢٥٧ سورة البقرة .

لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(١) .

ونهى عن الشحناء وحث على الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطى الثواب الجزيل لمن يتسامح ويتجاوز عن مظلمته ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا »(٢) .

هذه النفوس الطيبة التى لا تفكر فى ظلم عباد الله بهذا السلوك الطيب الكريم تكون وصلت إلى درجة اليقين أنها راجعة إلى الله فحاسبها الله على الكبيرة والصغيرة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(٣) .

تلك النفوس لابد أن تخاف الله وتميل إلى طاعته . ولا نقول إنها ستكون نفوساً ملائكية لا تخطىء أبداً ! كلا ! فإن الناس كلهم خطاءون كما قرر رسول الله ﷺ ، ولكن خير الخطائين التوابون : قال الله تعالى: « والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين »(٤) .

---

(١) رواه مسلم جـ ١٦ ص ١٢٠

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢

(٣) سورة الزلزلة الآيتين ٧ ، ٨

(٤) سورة آل عمران الآيتين ١٣٥ ، ١٣٦

ولقد توعد الله الذين عبدوا غيره الله والذين يعرضون عن قبول الحق ويمتنعون عن نصرة الضعيف بأشد العقاب وسوء المصير فقال تعالى : « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً »(١) .

وحدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبى فى وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر ابن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذاك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » قال ابن كثير : هذه الآية عامة فى كل ظالم وعن جابر ابن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »(٢) .

فهذه الظلمات تكون على صاحبه لا يهتدى يوم القيامة سبيلا حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ولا منجى من الشدائد والعقوبات إلا الله قال تعالى : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون »(٣) .

ولقد هدد الله الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بأشد أنواع العقاب

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩

(٢) رواه مسلم جـ ١٦ ص ١٣٤

(٣) سورة الأنعام الآيتين ٦٣ ، ٦٤

فقال تعالى: « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيراً »(١) لما نزلت هذه الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشىء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم »(٢) . فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه .

وحدثنا أحمد بن سعيد : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : يارسول الله ، وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(٣).

وقال السدى : يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه يأكل مال اليتيم . وقال بعض العلماء : شر الناس من جار على نفسه ثم من جار على ذويه ، ثم من جار على كافة الناس ، وأفضلهم من عدل مع كافة الناس ، ثم مع عشيرته ، ثم مع نفسه ، فإن الظالم لايكون ظالماً لغيره حتى يكون ظالماً لنفسه، والعادل فى الناس إذا هم بالعدل وتحراه فقد عدل مع نفسه قبل أن يعدل مع غيره . وعن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته

---

(١) سورة النساء الآية ١٠

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٠

(٣) سنن أبى داود جـ٢ ص ١١٥ باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم .

ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وأرشد الله العصاة والمذنبين أن يستغفروا من ذنوبهم ويتوبوا من مظالم العباد فقال تعالى : « ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » وقال تعالى : ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ، ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »(٢) .

لأنه إنما يعاقب بسبب فعـــله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته ، فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »(٣) .

---

(١) صحيح مسلم جـ١٦ ص ١٣٥
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤
(٣) فتح الباري جـ ١٠ ص ١٨٣

وكان معاوية يقول : إنى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصراً إلا الله . وقال أبو الميناء . كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبى داود ، وقلت قد تضافروا على وصاروا يداً واحدة . فقال: يد الله فوق أيديهم . فقلت له إن لهم مكراً . فقال ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . قلت : هم فئة كثيرة . فقال : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، فلابد من وصول الحقوق إلى أصحابها ونصر المظلوم ولو كان حيواناً أعجماً . عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل : يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

وعن جابر قال : اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ونادى الأنصارى يا للأنصارى فخرج رسول الله ﷺ فقال ماهذا دعوى أهل الجاهلية قالوا لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال فلابأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره »(١) .

والظلم لا يرضاه أحد لنفسه فلا يرضاه لغيره ، وليتذكر الظالم موقفه يوم العرض على رب العباد : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب »(٢) .

تذكر وقوفك يوم العرض عرياناً
مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً

---

(١) صحيح مسلم جـ١٦ ص ١٣٨
(٢) سورة غافر الآية ١٦ — ١٧

اقرأ كتابك يا عبـــدى على مهل
فلن ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قـــرأت ولم تنكر قراءته
إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليـــل خذوه يا ملائكتى
وامضوا بعبد عصى للنار شيطانا

وقال سبحانه : « ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً »(١) طوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها ، وقال تعالى: « ونكتب ما قدموا وآثارهم » أى أن الله يكتب أعمالهم التى باشروها بأنفسهم وآثارهم التى آثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله ﷺ : « من سن فى الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء »(٢) .

وفى مثله قوله تعالى : « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر » أى يخبر كل امرىء عند وزن الأعمال بما عمل وبما ترك . ثم قال تعالى : « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » أى قد خربت منازلها وتهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف بسبب ظلمهم وتكذيبهم . وفى آية أخرى قال الله تعالى: « وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير » أى وكم من أهل قرية أخرت أهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاغتروا بذلك التأخر ولكن عذابهم مدخر فى الآخرة .

---

(١) سورة الفرقان الآية ١٩
(٢) رواه مسلم .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم . ورؤى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت :

فلم أرى مثل العدل للمرء رافعا
ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر :

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم
فإن سقمت فأنا السالمون غدا
دعت عليك أكف ظالما ظلمت
ولن ترد يد مظلومة أبدا

وقال يوسف بن أسباط : من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه .

وقوله : « وعنت الوجوه للحى القيوم » دليل على خضوع الكل واستسلام الخلائق للحى الذى لا يموت ، القيوم القيم على كل شىء يدبره ويحفظه وقوله « وقد خاب من حمل ظلما » يوم القيامة يخسر الظالمون كل صديق ومنفعة وثواب فالخيبة كل الخيبة من لقى الله بمظالم العباد أو أشرك به فإن الله تعالى يقول : « إن الشرك لظلم عظيم » .

وفى الحديث يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ، وقال تعالى : « بل الظالمون فى ضلال مبين » .

وقال مجاهد : يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام ، فيقال لهم : هل يؤذيكم هذا فيقولون أى والله ، فيقال لهم : هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين . وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

لما كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم ، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه . فالظالمون عليهم لعنة الله وغضبه وانتقامه قال بعض الحكماء : اذكر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند القدرة قدرة الله عليك ، لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فإن له قاتلا لا يمـــوت ، وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك . قال أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة .

وحذر رسول الله ﷺ الذين يعاونون الظالمين ويساعدونهم على ظلم الناس بأنه بريء منهم ولا يردون حوضه ، عن كعب بن عجرة قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة فقال : إنه ستكون بعدى أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض ، ثم وضح وبين عليه الصلاة والسلام فضيلة النطق بالحق أمام هؤلاء عن طارق ابن شهاب أن رجلا سأل النبى ﷺ وقد وضع رجله فى الغرز أى الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر(١) .

حكى أن رجلا نادى سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر : ياسليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل ، فقال له يوم الأذان فقال : قال الله تعالى : « فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » قال : فما ظلامتك قال : أرض لى بمكان كذا أخذها وكيلك ، فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه وأرضا مع أرضه .

وروى أن كسرى أبو شروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى

---

(١) سنن النسائى حـ ٧ ص ١٦١

فاق فى العلوم ، فضربه للمعلم يوما من غير ذنب ، فأوجعه فحقد أبو شروان عليه ، فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا و كذا ظلما فقال له : لما رأيتك ترغب فى العلم ، رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم . فقال أبو شروان زه زه - كلمة استحسان وقد تستعمل فى التهكم كما يقال « أحسنت » لمن أساء . وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فـلا تأمنن الدهر حرا ظلمته
فـاليل حر إن ظلمت بنائم

وعن صفوان بن محرز المازنى قال : بينما أنا أمشى مع ابن عمر رضى الله عنهما آخذ بيده ، إذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ فى النجوى ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أى رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين(١) » .

فالإنسان المؤمن صاحب الخلق الكريم هو الذى يبتعد عن كل شىء يؤذى عباد الله ويعطى لكل ذى حق حقه ،

روى أنس رضى الله عنه قال : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : ياأمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك . فقال عمر رضى الله عنه : لقد عذت بمجير فماشأنك ،

---

(١) فتح البارى كتاب المظالم حـ ١٠ صـ ١٧٧

فقال : سابقت بفرسي ابنا لعمر بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك. فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان .وقال للمصري : أقم حتى يأتيك . فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمر بن العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى إليه عمر بالدرة ؛ وهو يقول : اضرب ابن الأكرمين فلما ضربه قال : ياأمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على ضلع عمرو فقال: ياأمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني ، قال: أما والله لو فعلت مامنعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ، ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال: ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . فجعل عمرو يعتذر إليه ويقول : إني لم أشعر بهذا .

وقيل : لما ظلم أحمد ابن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسين يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب قالوا: في غد . فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت : ياأحمد يابن طولون ، فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها ، فإذا فيها : ملكتم فأسرتم ، وقدتم ففهرتم ، وخولتم فبسقتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها ، فحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ماشئتم فإنا صابرون وجوروا فإن إلى الله مستجيرون ، واظلموا فإنا بالله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال : فعدل لوقته وصدق الله العظيم حيث قال :

« ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون . ويوم

يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، فالجزاء من جنس العمل وروى أن بعض الملوك رقم على بساله :

لاتظلمن إذا ماكنت مقتدرا
فالظلم مصدره يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وماأحسن ماقال الآخر :

أتهزأ بالدعـــاء وتزدريه
وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن
لها أمـــد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ماشاء ربى
ويرسلها إذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء : إياك ودمعة اليتيم ، ودعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام . وقال الهيثم بن فراس السامى من بنى سامة بن لؤى فى الفضل بن مروان :

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر
فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضـــوا لسبيلهم
أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع ، والفضل بن يحيى ، والفضل بن سعد : عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال : اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب »(١) .

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث دعـــوات يستجاب لهن . لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده)(٢) .

فليحاول كل إنسان أن يعفو عمن ظلمه قال الله تعالى : « إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا » أي إن تظهروا أيها الناس خيرا أو أخفيتموه أو عفوتم عمن أساء إليكم فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال : « فإن الله كان عفوا قديرا » ، ولهذا ورد في الأثر : أن حملة العرش يسبحون الله فيقول بعضهم سبحانك على حلمك بعد علمك ويقول بعضهم سبحانك على عفوك بعد قدرتك ، وفي الحديث الصحيح : « ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه » .

ودعا القرآن إلى الجزاء كي لا يتبجح الشر ويطغى ، حين لا يجد رادعا يكفه عن الإفساد في الأرض فيمضي وهو آمن مطمئن ! ذلك مع استحباب العفو ابتغاء أجر الله وإصلاح النفس من الغيظ قال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر

---

(١) فتح الباري حـ ١٠ ص ١٨٢ باب الإتقاء والحذر من دعوة المظلوم .

(٢) سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٢٧٠

بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور(١) » .

فيجب علينا أن نقف فى طريق الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحق ، فإن الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفوه ويمنعوه من ظلمه(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه والنبى ﷺ جالس فجعل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقام فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال يارسول الله إنه كان يشتمنى وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال : « إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لاقعد مع الشيطان — ثم قال — يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها لله إلا أعزة الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة(٣) .

وعنه أيضا : « أن النبى ﷺ قال لأبى بكر : مامن عبد ظلم مظلمة فعفا عنها إلا أعز الله بها نصره(٤) .

فالعاقل من ينصر الظالم والمظلوم ويدلها إلى طريق السلامة كما وضح

---

(١) الآيات ٤٠ — ٤٣ من سورة الشورى

(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب حـ٦ ص٣١٦٧

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٢٠

(٤) فتح البارى وجزاء سيئة سيئة مثلها جـ١٠ صـ ١٨١

ذلك خاتم الأنبياء والمرسلين ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا : يا رسول الله ، هـذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره(١) ، وقال الشاعر :

إذا أنا لم أنصر أخى وهـو ظالم
على القوم لم أنصر أخى حين يظلم

فيتعين على كل إنسان أن يراقب الله فى السر أو العلانية ، ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ، ويعاقب الظالم على ظلمه ، وينتصر للمظلوم ، ويأخذ له حقه ممن ظلمه ، وصدق الله العظيم حيث قال : « وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون . ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبـده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون »(٢) نسأل الله العلى القدير أن يحسن عاقبتنا فى الأمور كلها . وأن يبارك لنا فى أزواجنا وذرياتنا ويجعلنا للمتقين إماما . إنه حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

بقلم الدكتور
أبو زيد محمد أبو زيد جعفر
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

---

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) سورة هود من الآية رقم ١٢١ - ١٢٣